تيسير العقيدة

** الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله.

ويتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بوجود الله تعالى.

٢ - الإيمان بربوبيته (توحيد الربوبية).

٣- الإيمان بألوهيته (توحيد الألوهية).

٤ - الإيمان بأسمائه وصفاته (توحيد الأسماء والصفات).

* أولا: الإيمان بوجود الله:

الدليل على ذلك: هذا الكون البديع المتقن الذي نراه من حولنا، فإنه دليل على وجود خالقه؛ إذ يستحيل أن يكون قد وُجد هكذا -مع هذا الإتقان- بدون خالق.

وهذه قاعدة العقل والفطرة: (كل حادث لا بد له من محدث، وكل مخلوق لا بد له من خالق، وكل مفعول لا بد له من فاعل).

وقد جاء الشرع بهذا الدليل العقلي، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

* ثانيا: الإيمان بربوبية الله (توحيد الربوبية):

الربوبية: مأخوذة من كلمة (الرب)، وهو: السيد المالك المدبر.

وربوبية الله: هي أفعاله، التي ترجع إلى معنى سيادته وملكه وتدبيره، مثل: الخلق، والرزق، والضر، والنفع، والإحياء، والإماتة.

وتوحيد الربوبية: هو إفراد الله بهذه الأفعال، فلا تنسب لغيره؛ وذلك بأن يعتقد المسلم اعتقادا جازما أنه لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله، وهكذا.

وانتبه:

التوحيد في هذه الأفعال هو إفراد الله بالمعنى الذي يختص به منها.

فمثلا: الخلق يأتي بمعنى الإيجاد من العدم، ويأتي بمعنى التصوير والتشكيل؛ فالذي يتفرد به الله تعالى هو المعنى الأول، لا الثاني؛ فإن ملك الأرحام يصور الجنين بإذن الله، والخلق عامة قادرون على تصوير الأشياء، كما في التماثيل وغيرها.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون]، فأثبت أن هناك خالقين، وأنه تعالى أحسنهم؛ لكن الخلق هنا هو التصوير والتشكيل.

فعندما نقول: لا يخلق إلا الله؛ فالمراد: الإيجاد من العدم.

وهكذا الأمر في سائر معاني الربوبية.

*** ثالثا: الإيمان بألوهية الله (توحيد الألوهية):**

الألوهية: مأخوذة من كلمة (الإله)، وهو: المعبود.

وألوهية الله: هي التوجه إليه بالعبادة، سواء كانت قلبية، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء؛ أم بدنية، مثل: الصلاة، والدعاء، والذبح.

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بهذه العبادات، فلا تصرف لغيره؛ وذلك بأن يعتقد المسلم اعتقادا جازما أن هذه العبادات لا تصلح لغير الله، وإذا قام بشيء من العبادة؛ فلا يصرفه لغير الله.

وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، أي: لا معبود بحق إلا الله، أي: وإن كان من الناس من يعبد غير الله؛ لكن هذه المعبودات باطلة، لا تستحق شيئا من هذه العبادة، وإنما يستحقها الله وحده.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة.

فكل ما تحقق فيه هذا المعنى؛ فهو عبادة، يجب صرفها لله وحده دون غيره، وهذا هو التوحيد.

وبخلاف الأمثلة الواضحة للعبادة -كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج-؛ فإننا نذكر بعض الأمثلة الأخرى المهمة للعبادة.

فمن العبادات الباطنة (القلبية):

١- **المحبة**: لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٢- **الخوف**: لقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران].

٣- **الرجاء**: لقوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٤- **التوكل**: لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة].

وانتبه:

التوحيد في مثل هذه الأمور هو إفراد الله بالمعنى الذي لا يصلح لغيره منها.

ففي المحبة: التوحيد هو في محبة التعظيم والتقرب، فهذا هو الذي لا يصلح لغير الله؛ بخلاف مثل محبة الزوجة والولد.

وفي الخوف: التوحيد هو في خوف التعظيم، بمعنى أن هذا الشخص تخاف منه لأنه يضرك بمشيئته وقدرته استقلالا، فهذا هو الذي لا يصلح لغير الله؛ بخلاف الخوف من الظالم والنار والحيوان الضار.

وفي الرجاء: التوحيد هو في رجاء الرضا والرحمة والمغفرة والثواب؛ بخلاف الرجاء من المخلوق في المصلحة التي يقدر عليها.

وفي التوكل: التوحيد هو في التعلق بالله والثقة بقضائه وقدره؛ بخلاف الأخذ بالأسباب، والاعتماد على المخلوق فيما يقدر عليه.

ومن العبادات الظاهرة:

١- **الدعاء**: لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، وحديث: «**الدعاء هو العبادة**».

٢- **الذبح**: لقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]، وحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

٣- **النذر**: لقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وحديث: «**من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه؛ ومن نذر أن يعصي الله؛ فلا يعصه**».

٤- **الاستعانة**: لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة]، وحديث: «**إذا استعنت؛ فاستعن بالله**».

٥- **الاستغاثة**: لقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

٦- **الاستعاذة**: لقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس].

وانتبه:

التوحيد في هذه الأمور هو إفراد الله بالمعنى الذي لا يصلح لغيره منها.

ففي الدعاء: الدعاء له قسمان:

أ- دعاء عبادة: وهو التوجه إلى الله بالعبادة عموما.

ب- دعاء مسألة، وهو الطلب.

فالتوحيد هو إفراد الله بدعاء العبادة، وبما لا يقدر عليه غيره من دعاء المسألة؛ كمغفرة الذنوب.

فيجوز الطلب من المخلوق إذا كان: حيا، حاضرا، قادرا على ما يطلب منه؛ كطلب المال.

وفي الذبح: التوحيد هو إفراد الله بإراقة الدماء على وجه التعظيم والتقرب، بخلاف ما يكون لإكرام الضيف مثلا.

وفي النذر: لا يتصور صرفه لغير الله؛ لأنه التزام بشيء على سبيل التقرب والتعظيم.

وفي الاستعانة، ونحوها: التوحيد هو إفراد الله بطلب الأمور التي لا يقدر عليها غيره؛ كالاستعانة على الهداية، والاستغاثة من الكربات، والاستعاذة من الشيطان؛ بخلاف ما يقدر عليه المخلوق؛ كالاستعانة في تجارة، والاستغاثة من لص، والاستعاذة من أذيته.

تتمة:

توحيد الألوهية خاصة هو أصل دعوة الأنبياء، وهو موطن الخلاف بينهم وبين المشركين.

فمن الخطأ البالغ: أن يظن أن المشركين الذين بعث فيهم الأنبياء كانوا يشركون في الربوبية، بأنهم كانوا يعتقدون أن الأصنام تخلق أو ترزق أو تدبر، أو أنهم كانوا لا يعرفون الله أصلا، ولا يقرون بوجوده.

وإنما الواقع خلاف هذا تماما: كانوا يعرفون الله تعالى، ويقرون بأنه هو الخالق الرازق المدبر؛ وإنما كان شركهم في العبادة، كانوا يعبدون غير الله: من الأصنام، والصالحين، وغيرهم؛ يصرفون إليهم أنواع العبادة: من الدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، ونحو ذلك.

وكان الدافع لهم في ذلك: أنهم يرجون شفاعة أولئك الصالحين عند الله، فكانوا يصرفون إليهم العبادة، التي هي حق الله الخالص؛ لكي يشفعوا لهم عند الله.

وهذه الحقائق هي نص القرآن المحكم، الذي هو في غاية الوضوح، لا يحتمل تأويلا بوجه من الوجوه.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ...﴾ الآيات [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس: ٣١].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ولهذا كان الله تعالى يحتج عليهم بإقرارهم بالربوبية؛ أي: ما دمتم تقرون بها لله وحده؛ فلا بد أن تكون عبادتكم له وحده؛ لأن العبادة لا تكون إلا لمن خلق، وفعل غير ذلك من خصائص الربوبية.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

*** رابعا: الإيمان بأسماء الله وصفاته (توحيد الأسماء والصفات):**

والمقصود به إجمالا أمران:

١- أن يؤمن المسلم بجميع ما ثبت من أسماء الله وصفاته في القرآن، والسنة الصحيحة؛ على معناه الظاهر المفهوم المتبادر إلى الذهن، وعلى ما يليق بكمال الله تعالى، من غير تمثيل بصفات المخلوقين.

٢- ويفرد الله تعالى بما يختص به من معاني تلك الأسماء والصفات.

شرح الأمر الأول:

الواجب على المسلم أمران أساسيان:

أ- الإثبات.

ب- التنزيه.

فيثبت المسلم ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته، مع تنزيهه عن مماثلة المخلوقين.

وقد جمع الأمرين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

التنزيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾.

الإثبات: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فليس معنى الإثبات أن صفات الله مثل صفات الخلق، وليس معنى التنزيه أن الله ليس له صفات، وأننا ننكر ما أثبته لنفسه من ذلك؛ رغبة في تنزيهه عن مماثلة المخلوقين.

والمسلم في إيمانه بالأسماء والصفات يتجنب أربعة أشياء:

١- **التعطيل**: وهو إنكار الصفات بعد ثبوتها في النص.

فإذا وقف المسلم على شيء من أسماء الله وصفاته في القرآن أو السنة الصحيحة؛ فالواجب عليه أن يؤمن به، ويثبته لله تعالى كما أخبر عن نفسه، ولا يجوز إنكاره؛ لأنه يعتبر حينئذ تكذيبا للنص، وردا لخبر الله عن نفسه.

مثال: الله تعالى وصف نفسه بالسمع والبصر، وسمى نفسه (السميع البصير)، فلا يجوز أن يقال: ليس لله سمع ولا بصر، ولا هو سميع ولا بصير.

٢- **التمثيل**: وهو تمثيل صفات الله بصفات المخلوقين.

فالواجب على المسلم: أن يثبت الصفات على الوجه اللائق بالله تعالى، من الكمال التام، الذي لا نقص فيه أبدا؛ ولا يجوز أن يقال: إن صفات الله كصفات المخلوقين؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، ولأن المخلوق ناقص، فتمثيل صفات الله بصفات المخلوق معناه: أن صفات الله ناقصة.

مثال: صفة الكلام؛ نقول: إن الله يتكلم، على الوجه اللائق به من الكمال والعظمة، وليس ككلام المخلوق.

٣- **التحريف**: وهو تفسير الصفات بمعان تخالف الظاهر المتبادر منها، وهذا التفسير هو الذي يسمى (التأويل).

فمعاني الصفات معلومة وواضحة، تفهم بمجرد النظر في النصوص التي وردت بها؛ فالواجب على المسلم أن يثبت هذا المعنى، ويعتقد أنه هو المراد بالصفة، ولا يفسرها بتفسير آخر يخالفه؛ لأن النصوص وردت باللغة العربية، فالمراد من الصفات هو ما يفهم بمقتضى اللغة العربية، ولو كان المراد شيئا آخر؛ لبينه الله تعالى، وفهمه السلف، ونقلوه إلينا.

مثال: سمع الله وبصره، المراد بهما هو المراد المعروف من السمع والبصر، الذي يفهمه أي إنسان يفهم اللغة العربية؛ فنقول إن الله يسمع الأصوات سمعا حقيقيا، ويرى الأشياء رؤية حقيقية، على الوجه اللائق به من غير تمثيل -كما سبق-؛ ولا نقول: إن السمع ليس هو السمع الذي نعرفه، والبصر ليس هو البصر الذي نعرفه، وإنما المراد بهما العلم مثلا؛ فهذا هو التحريف لمعني الصفات الإلهية.

٤- **التكييف**: وهو اعتقاد كيفية معينة أو شكل معين لصفات الله تعالى، والسؤال عن ذلك.

فلا يجوز للمسلم أن يعتقد أن صفات الله لها كيفية معينة أو شكل معين أو هيئة معينة، وذلك موجود بالطبع؛ ولكننا لا نعرفه؛ لأن الله لم يبينه لنا.

مثال: كلام الله تعالى له كيفية بلا شك؛ ولكننا لا نعرفها؛ فلا يجوز لنا أن نعتقد أنه يتكلم بكيفية معينة صفتها كذا وكذا، ولا يجوز لنا أن نسأل: كيف يتكلم؟

تنبيه هام:

قد علم مما تقدم أن معاني الصفات معلومة لنا، وأن الكيفية مجهولة لنا.

فلا يجوز ادعاء أن المعاني مجهولة مثل الكيفية، ومن نسب هذا إلى السلف؛ فإنه لا يعرف اعتقاد السلف؛ ويكفينا أن نعلم أنهم فسروا معاني الأسماء والصفات، ومنها: صفة الاستواء على العرش، كما سيأتي البيان -إن شاء الله-.

تنبيه هام آخر:

اعلم أن الاعتقاد الذي ذكرناه يسري على جميع الصفات التي وصف الله بها نفسه، في القرآن، والسنة الصحيحة.

وهذا في غاية الظهور؛ لأن الكل صفات إلهية، فلا يجوز التفريق بينها، بحيث نطبق الاعتقاد المذكور على بعضها دون بعض.

ورغم وضوح هذا الأمر؛ إلا أنه خفي على كثير من المسلمين، فصاروا يتعاملون مع بعض الصفات الإلهية بما يخالف الاعتقاد المذكور، وخصوصا بطريقة التحريف، التي تسمى (التأويل).

مثال: صفة الوجه لله تعالى: يقولون: هذا ليس وجها حقيقيا، وإنما هو الذات الإلهية نفسها، أو ثواب الله تعالى، الذي ليس بصفة له؛ لأنه لو كان وجها حقيقيا؛ لكان هذا تشبيها بوجوه المخلوقات.

فهذا خطأ كبير، يجب الحذر منه.

ونقول: كما أننا نثبت لله ذاتا، ولا يلزم من ذلك أن تكون كذوات المخلوقين؛ فكذلك صفاته تعالى.

وكما أننا نثبت لله علما، وسمعا، وبصرا، وغير ذلك، ولا يلزم أن يكون كصفات المخلوقين؛ فكذلك وجهه تعالى، وسائر صفاته.

فنقول: هو وجه حقيقي، صفة إلهية، على الوجه اللائق بجلال الله وكماله وعظمته، وليس كوجوه المخلوقات، ولا نفسره بمعنى يخالف ذلك، ولا نقول: كيف وجهه؟

أمثلة لبعض الصفات المشهورة، التي يقع انحراف في فهمها:

١ - صفة الكلام:

يقول تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ويقول النبي ﷺ: «**من يمنعني حتى أبلغ كلام ربي؟**»، «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه**».

فنقول: إن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي، لم يزل متصفا بالكلام، وهو يتكلم وقتما شاء بما شاء، وكلامه له صوت وحروف، على الوجه اللائق بكماله وعظمته، ليس ككلام المخلوقين، ولا يلزم منه وجود جوارح وآلات كما يكون في المخلوقين، ولا نقول: كيف يتكلم؟

ومن كلامه تعالى: القرآن الكريم، فنقول: القرآن كلام الله، تكلم به تكلما حقيقيا -على الوجه الذي ذكرناه-، فهو من صفاته تعالى، ليس بمخلوق مثل البشر وغيرهم من المخلوقات.

وسيأتي الكلام على قضية (ليس بمخلوق) في موضعه -إن شاء الله-.

٢- صفة العلو:

والمراد: علو الذات: أن الله تعالى بذاته فوق مخلوقاته.

يقول تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠].

ويقول الرسول ﷺ: «**ارحموا من في الأرض؛ يرحمكم من في السماء**»، وسأل جارية: «**أين الله؟**»، فقالت: «**في السماء**»، فقال لصاحبها: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**».

فنقول: إن الله تعالى بذاته عال على جميع مخلوقاته، فوق سمواته؛ وهذا هو مقتضى كماله وعظمته: أن يكون فوق مخلوقاته؛ وهو الفطرة التي فطرنا عليها: إذا أراد أحدنا أن يدعوه؛ رفع يديه إلى جهة السماء.

ولا نقول: إنه في كل مكان؛ فإن هذا معناه أنه متجزئ، ومختلط بالمخلوقات؛ تعالى عن ذلك.

ولا نقول: إنه ليس في مكان معين؛ فإن هذا هو شأن الشيء المعدوم، الذي لا وجود له من الأساس.

٣- صفة الاستواء على العرش:

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الأعراف]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

فنقول: إن الله تعالى موجود بذاته فوق عرشه، قد استوى عليه؛ ومعنى الاستواء كما

فسره السلف: ارتفع على العرش، واستقر عليه؛ وذلك على الوجه اللائق بجلال الله، وليس كاستواء المخلوقين على عروشهم.

٤- صفة النزول:

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**».

فنقول: إن الله تعالى ينزل كما جاء في الحديث، على الوجه اللائق به، وليس كنزول المخلوقات.

٥- صفة اليدين:

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال النبي ﷺ: «**يطوي الله السموات بيمينه، ويقبض الأرض بيده الأخرى**».

٦- صفة الوجه:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال النبي ﷺ: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

٧- صفة العينين:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال النبي ﷺ: «**إن ربكم ليس بأعور**».

فنقول: إن هذه الصفات ثابتة لله تعالى على الحقيقة، وعلى الوجه اللائق بكماله، وليست كجوارح المخلوقات.

٨- صفة الغضب:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال النبي ﷺ: «**لما قضى الله الخلق؛ كتب في كتاب عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**».

٩- صفة الرضا:

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال النبي ﷺ: «**أعوذ برضاك من سخطك**».

١٠ - صفة المحبة:

قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدا؛ نادى جبريل**» الحديث.

فنقول: إن هذه الصفات ثابتة لله على الحقيقة، وعلى الوجه اللائق بكماله، وليست كانفعالات المخلوقين.

وفي هذا القدر كفاية، وبه يتم الكلام على الأمر الأول، الذي يتضمنه توحيد الأسماء والصفات.

شرح الأمر الثاني الذي يتضمنه توحيد الأسماء والصفات:

إفراد الله بما يختص به من معاني الأسماء والصفات.

وذلك أن أصل هذه المعاني مشترك بين الله وبين الخلق: فالله يسمع ويبصر، والمخلوق يسمع ويبصر، وهكذا.

إلا أن الله تعالى يختص بالكمال في هذه المعاني: فسمعه يسع الأصوات، مهما بعدت، ومهما خفيت؛ وكذا بصره تعالى؛ وأما المخلوق؛ فليس له هذا الكمال.

فالتوحيد إذن: أن نعتقد أن هذا الكمال الذي يتصف به الله تعالى ليس لأحد غيره، فلا يجوز أن نعتقد في أحد من البشر مثلا: أن سمعه يسع الأصوات، وأنه يسمعنا مهما ناديناه من أبعد الأماكن؛ فإن ذلك ليس لأحد غير الله تعالى.

وبهذا يتم الكلام على توحيد الله تعالى.

*** الكلام على الشرك:**

الشرك: خلاف التوحيد.

وهو على قسمين:

١ - شرك أكبر: وهو إثبات خصوصية الله لغيره.

وهذا القسم هو الذي يوجب الخروج عن ملة الإسلام، وتطبيق أحكام الردة في الدنيا، والخلود في النار في الآخرة.

٢ - شرك أصغر: وهو الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر.

والشرك في الربوبية: إثبات أفعال الله لغيره، التي لا يقدر عليها سواه.

مثل: الخلق، بمعنى إيجاد الشيء من العدم، فهذا لا يقدر عليه إلا الله؛ فمن اعتقد أن أحدا غير الله يخلق بهذا المعنى؛ فقد أشرك شركا أكبر.

وأما الخلق الذي هو بمعنى التشكيل والتصوير؛ فهذا يقدر عليه المخلوق، بالرسم والنحت ونحو ذلك.

والشرك في الألوهية:

الشرك الأكبر: صرف العبادة لغير الله.

كمن صلى لغير الله، أو دعا غيره، أو استغاث بغيره، أو ذبح لغيره، أو نذر لغيره.

فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله؛ فقد عبد غير الله، وهذا شرك أكبر مخرج عن ملة الإسلام، كما كان عليه المشركون من قبل.

وتذكر ما سبق بيانه في توحيد الألوهية: أن هذه الأمور ما كان منها يصلح لغير الله بشرطه؛ فلا بأس بصرفه لغير الله، ولا يتنافى مع التوحيد، ولا يعتبر شركا.

مثل: من استغاث بالحي الحاضر في شر يقدر على دفعه، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

الشرك الأصغر: الوسائل التي تؤدي إلى الوقوع في صرف العبادة لغير الله، وهي بعض الأقوال والأعمال التي ورد في النصوص الشرعية أنها شرك، ولا تخرج عن الملة.

ومن ذلك:

١- **الحلف بغير الله**: لحديث «**من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك**»، أيا كان هذا المحلوف به، وإن كان رسول الله.

وكفارته كما في الحديث: «**من حلف فقال: واللات والعزى؛ فليقل: لا إله إلا الله**».

فإن حلف بشيء، فعظمه كتعظيم الله، أو أكبر؛ فهذا شرك أكبر.

٢- **تعليق التمائم**: مثل الأحجبة، والخيوط، والحظاظة، والخرزة الزرقاء، والخمسة وخميسة، ونحو ذلك.

لحديث: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

فإن اعتقد أن هذه الأشياء تدفع الحسد أو تجلب الحظ بذاتها؛ فهذا شرك أكبر.

٣- التبرك بشجرة أو بقعة أو نحو ذلك: بأن يعتقد أن فيها بركة، فيتمسح بها، أو يقعد عندها، أو نحو ذلك.

لحديث: أن المشركين كانت لهم شجرة يتبركون بها، يقال لها: (ذات أنواط)، فطلب بعض الصحابة الذي كانوا قد أسلموا حديثا من النبي ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلها، فقال: «**قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**».

فإن اعتقد أن هذه الأشياء تجلب البركة بذاتها؛ فهذا شرك أكبر.

٤- الطيرة: وهي التفاؤل والتشاؤم بالطيور، ويلحق بها الأيام، والأرقام، والأشخاص، ونحو ذلك.

وذلك لحديث: «**الطيرة شرك**».

فإن اعتقد أن هذه الأشياء تؤثر بذاتها في جلب الحظ أو النحس؛ فهذا شرك أكبر.

ويتحقق التطير المذموم بأنه يؤثر في الإنسان وعمله، فإذا رأى ما يتفاءل به؛ مضى في الشيء؛ وإذا رأى ما يتشاءم به؛ تركه.

وذلك لحديث: «**من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك**».

وأما مجرد السرور والاستبشار بالكلمة الطيبة، ونحوها؛ فلا بأس به.

وذلك لحديث: «**يعجبني الفأل: الكلمة الطيبة**».

٥- التنجيم، ومتابعة الأبراج.

لحديث: «**من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر**».

فإن اعتقد أن النجوم تؤثر بذاتها في حياة الإنسان؛ فهذا شرك أكبر.

٦- بعض الألفاظ التي فيها تسوية بين الله وبين العبد، كقول: ما شاء الله وشئت.

لحديث الرجل الذي قال هذا للنبي ﷺ، فقال له: «**أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده**»، والحديث الآخر: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**».

ويلحق بهذه المقولة: هذا من الله ومنك، ما لي إلا الله وأنت، أنا معتمد على الله وعليك، لولا الله وأنت.

والصواب أن نأتي في هذه العبارات بحرف (ثم)، الذي يدل على تأخير فعل العبد ومنزلته عن الله تعالى.

٧- **الرياء**: وهو العمل بقصد أن يراه الناس، فيحمدوا صاحبه؛ ويلحق به كل ما فيه ابتغاء غير وجه الله بالعمل.

لحديث: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه**».

والرياء الذي هو من الشرك الأصغر هو اليسير الذي يعرض للمسلم في العبادة، وأما الرياء المحض، بحيث لا يعمل العمل لوجه الله أصلا؛ فهذا شرك أكبر.

الشرك في الأسماء والصفات:

يتحقق ذلك: بنسبة المعنى الذي يختص بالله تعالى إلى غير الله.

مثاله: صفة السمع: فسمع الله تعالى كامل، لا نقص فيه، وهو يسمع الأصوات مهما بعدت وتداخلت.

فمن نسب هذا السمع الكامل إلى غير الله، وادعى أن أحدا يسمع صوت من ناداه مثلا مهما بعد عنه؛ فهذا شرك أكبر، مخرج عن الملة.

ومن الشرك في الأسماء والصفات:

من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر.

ومن أنكر شيئا من أسمائه وصفاته؛ فقد كفر.

وبهذا يتم الكلام -بحمد الله- على الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله.

**** الركن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة:**

معناه إجمالا: أن نؤمن بوجود مخلوقات معينة لله تعالى، هم الملائكة، يطيعون الله، ولا يعصونه، ولهم أعمال كلفهم الله بها.

وتفصيلا: كل ما ثبت بشأنهم في الكتاب والسنة؛ يجب علينا الإيمان به؛ ومنه:

١- أنهم عباد لله، ليس لهم شيء من الربوبية والألوهية، وما يقومون به مما فيه نوع من التدبير أو نحوه -كما سيأتي ذكره-: فبإذن الله، هو الذي مكنهم منه، لا يقومون به استقلالا من أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩]، ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران: ٨٠].

٢- أنهم ليسوا أولادا لله تعالى، ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة أيضا.

كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ...﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧﴾ [النجم: ٢٧].

٣- أنهم مخلوقون من النور، ولهم أجنحة، ولهم قدرة على التشكل.

قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١]، وقال الرسول ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور**»، ومعلوم أنهم أتوا إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وجاء جبريل عليه السلام إلى مريم رضي الله عنها في صورة رجل، وكذلك أحيانا إلى النبي ﷺ.

٤- أنهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناسلون.

كما في قصة إبراهيم عليه السلام معهم لما قرب لهم الطعام، فلم يأكلوه؛ وما ثبت من عدم اتصافهم بذكورة أو أنوثة: يقتضي أنهم لا يتناكحون ولا يتناسلون.

٥- أنهم مجبولون على طاعة الله، لا يعصونه مطلقا.

قال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

٦- منهم من له عمل معين وكله الله به، وأقدره عليه.

فجبريل موكل بالوحي، وله أعمال أخرى، على حسب ما ثبت في النصوص.

وميكائيل موكل بالقطر (المطر).

وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور.

والملكان الحافظان مع كل إنسان، يكتبان عليه أعماله.

وملك الموت موكل بقبض الأرواح (ولا يثبت تسميته بعزرائيل، أو عبد الرحمن).

ومنكر ونكير موكلان بسؤال القبر.

وحملة عرش الرحمن، وعددهم ثمانية.

وهكذا: كل من ثبت له عمل معين؛ آمنا به تفصيلا كما جاء في النصوص.

**** الركن الثالث من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب:**

معناه: الإيمان بأن الله أنزل كتبا على من شاء من رسله، فيها بيان تشريعاته وأحكامه المتعلقة بهذا الرسول.

☜ وقد سمى الله تعالى خمسة كتب:

١- الصحف: على إبراهيم عليه السلام.

٢- الزبور: على داود عليه السلام.

٣- التوراة: على موسى عليه السلام.

٤- الإنجيل: على عيسى عليه السلام.

٥- القرآن: على محمد عليه السلام.

وهذه الكتب كلها كلام الله تعالى، ليست بمخلوقة.

ونخص القرآن بالذكر، فنقول: القرآن كلام الله، غير مخلوق.

أي: تكلم الله به تكلما حقيقيا، وكلامه تعالى صفة من صفاته، وهو سبحانه ليس بمخلوق، ولا صفاته بمخلوقة؛ لأنها لو كانت مخلوقة؛ للزم أن يكون الله ناقصا، ثم حدث له الكمال؛ تعالى الله عن ذلك.

والتحريف قد وقع في التوراة والإنجيل، كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وأما القرآن؛ فقد تعهد الله بحفظه، فلا يتطرق إليه تحريف ولا تغيير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

**** الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان بالرسل:**

ومعناه إجمالا: الإيمان بأن الله تعالى اختار من الناس أفضلهم وأكرمهم، فأرسلهم إلى بقية الناس، يدعونهم إلى ربهم، ويبلغونهم مراده منهم.

وتفصيلا: هناك بعض الأمور المهمة المتعلقة بالرسل:

١- أنهم بشر، لا يتميزون عن سائر البشر في الأمور الطبيعية الجبلية، فهم يأكلون ويشربون، ويتزوجون وينجبون، ويجوز عليهم المرض والسهو ونحو ذلك من العوارض البشرية.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، فضلا عن الأحاديث الكثيرة التي تثبت ذلك في حق نبينا محمد ﷺ مثلا.

٢- أنهم معصومون من الشرك وكبائر الذنوب، دون الصغائر، فيجوز وقوعها منهم نادرا، من غير مواظبة عليها، والله تعالى عند وقوعها منهم لا يقرهم عليها، بل ينبههم، فيتوبون، ويعودون خيرا مما كانوا.

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه]، في أمثلة عديدة تتعلق بغير واحد من الأنبياء.

٣- يجب الإيمان بهم جميعا، فلا يجوز أن نؤمن ببعض دون بعض.

قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

٤- من ذكرهم الله بأسمائهم من الأنبياء؛ فإننا نؤمن بهم على وجه التفصيل -كل واحد باسمه-؛ ومن لم يذكرهم بأسمائهم؛ فإننا نؤمن بهم على سبيل الإجمال.

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

والمذكورون في القرآن بأسمائهم خمسة وعشرون: إبراهيم وإسحق ويعقوب ونوح

وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط وإدريس وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وآدم ومحمد.

٥- هم أفضل البشر، وهم في أنفسهم يتفاضلون، بعضهم أفضل من بعض.

قال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال نبينا محمد ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**».

٦- دين الأنبياء كلهم واحد، في التوحيد، وأصول الإيمان، والشعائر الكبرى التي هي مثل الصلاة والصيام وتحريم القتل والزنا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وإنما الذي يختلف: تفاصيل العبادات، وبعض أحكام الحلال والحرام، ككيفية الصيام، وتحريم الغنائم.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

٧- يجب على جميع الثقلين الإنس والجن أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال النبي ﷺ: «**كان النبي يبعث في قومه خاصة، وبعثت للناس عامة**».

٨- خُتمت النبوة بمحمد ﷺ، فلا نبي بعده.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال النبي ﷺ: «**لا نبي بعدي**».

*** الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر:**

معناه إجمالا: الإيمان بأن يوما سيأتي، يبعث الله فيه الناس من قبورهم، فيعودون إلى الحياة مرة أخرى، ويحاسبون على أعمالهم، ويجازون بها، فمن آمن بالله وأطاعه؛ دخل الجنة؛ ومن كفر به وعصاه، دخل النار.

وتفصيلا: في عدة أمور:

١- فتنة القبر:

والمقصود أن الإنسان بعد موته، وقبل قيام القيامة: يُسأل عن دينه، ويجازى على ذلك بنعيم أو عذاب.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر]، فبين أن هناك عرضا على النار قبل قيام الساعة، وهو المقصود بما ذكرناه من فتنة القبر.

وقال تعالى أيضا: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، والمقصود بذلك قد فسره النبي ﷺ في الأحاديث المتواترة عنه: أن العبد عندما يوضع في قبره يأتيه ملكان: منكر، ونكير؛ فيسألانه: «**من ربك؟ وما دينك؟ وما تقول في الرجل الذي بُعث فيك؟**»، فأما المؤمن فيقول: «**ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، آمنت به واتبعته**»، فيُفسح له في قبره، ويأتيه من نعيم الجنة؛ وأما الكافر فيقول: «**لا أدري**»، فيُضيق عليه قبره، ويضربه الملكان، ويأتيه من حر النار وعذابها.

٢- النفخ في الصور:

الصور: قرنٌ عظيم يشبه البوق، ينفخ فيه إسرافيل -عليه السلام-.

والنفخ في الصور يكون مرتين: مرة لصعق المخلوقات، ومرة لرد الأرواح إلى أجسادها، وبعثها من قبورها.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر].

٣- البعث:

وهو قيام الناس من قبورهم أحياء.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف].

٤- الحشر:

وهو جمع الناس في موقف واحد، تمهيدا لحسابهم.

قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، وقال النبي ﷺ: «**إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا**»، أي: غير مختونين.

٥- أهوال القيامة:

وهي شدائد عظيمة، وتغيرات كبيرة في الكون، تحدث عند قيام القيامة.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير] إلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير].

٦- الحساب:

وهو واضح، فكل إنسان يحاسب على عمله، خيرا كان أم شرا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان**».

ومن ذلك: أن كل إنسان يأخذ صحيفة أعماله، فالمؤمن يأخذها بيمينه، والكافر يأخذها بشماله من وراء ظهره، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] وفي الآية الأخرى: ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق].

٧- حوض النبي ﷺ:

وهو حوض عظيم، يكرم الله به نبيه محمدا ﷺ، حتى تشرب منه أمته، وترتوي من عطش القيامة.

وماء هذا الحوض من نهر في الجنة، وهو نهر الكوثر، الذي ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر].

ومن صفة الحوض -كما ثبت في السنة-: أنه مسيرة شهر، وأن آنيته عدد نجوم السماء، وأن ماءه أشد بياضا من اللبن، وأحلى طعما من العسل، وأطيب ريحا من المسك، من شرب منه؛ لم يظمأ أبدا.

٨- الميزان:

وهو ميزان عظيم، توزن فيه أعمال العباد.

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف].

وكما ثبت في السنة: فهو ميزان حقيقي، له كفتان حقيقيتان، توضع في إحداهما الحسنات، وفي الأخرى السيئات، فإذا رجحت الحسنات؛ دخل الإنسان الجنة، وإذا رجحت السيئات؛ دخل النار.

٩- الصراط:

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم، يمر عليه الناس.

ومن صفته -كما جاء في السنة-: أنه أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وعليه خطاطيف تخطف الناس، والناس يمرون عليه بسرعة أو بطء على حسب أعمالهم، ومنهم من يسقط في جهنم -عياذا بالله-.

١٠- الجنة، والنار:

وهما دار الجزاء والمستقر والخلود، فالجنة دار المؤمنين الطائعين، والنار دار الكافرين الفاجرين.

قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران]، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات]، وقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧٣].

ويجب الإيمان بما يلي:

أ- أن الجنة والنار قد خلقهما الله بالفعل، وهما موجودتان.

ب- أنهما باقيتان بأهلهما، لا يلحقهما فناء ولا زوال.

ج- أن ما فيهما من النعيم والعذاب على حقيقته، كما أخبر الله ورسوله ﷺ.

*** تتمة:**

يدخل في الإيمان باليوم الآخر بعض المسائل المشهورة:

١- الإيمان بعلامات الساعة.

وهي أمور قدرها الله، وشاء وقوعها، لتدل على قرب قيام الساعة.

وهذه العلامات على قسمين، كما هو مفصل في السنة، وبعضه في القرآن أيضا:

أ- صغرى: وهي أمور معتادة في الناس، وقع أكثرها، مثل: أن تلد الأمة ربتها (أي: الجارية المملوكة تلد من يكون سيدا لها)، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان (أي: من كان شديد الفقر يصير فجأة فاحش الغنى)، وكثرة القتل، والزنا، وقلة العلم، وانتشار الجهل.

ب- كبرى: وهو أمور خارقة للعادة، تكون مقدمة مباشرة لقيام الساعة، مثل: طلوع الشمس من مغربها، وخروج المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول المسيح بن مريم عليه السلام.

٢- الإيمان برؤية الله تعالى في الآخرة.

فالمؤمنون يرون ربهم سبحانه في الآخرة بأبصارهم على الحقيقة، على سبيل الإكرام لهم، من غير أن يحيطوا به -جل في علاه-.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، وقال النبي ﷺ: «**إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر**».

٣- الإيمان بشفاعة النبي ﷺ.

والمقصود: أنه ﷺ يشفع عند ربه، فيكرمه بأمور معينة.

وهذه الشفاعة على قسمين -كما ثبت تفصيلا في السنة-:

أ- شفاعة خاصة به ﷺ، لا يقوم بها غيره: وأعظمها: الشفاعة العظمى، والمقام المحمود، عندما يعاني الناس من أهوال القيامة، ويرغبون أن يريحهم ربهم منها، فيطلبون الشفاعة في ذلك من آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى -عليهم السلام-، فكلهم يقول: «**لست لها**»، حتى يأتوا محمدا ﷺ، فيسجد تحت العرش، ويدعو ربه، فيستجيب له ربه، ويأتي لفصل القضاء بين العباد.

ب- شفاعة يقوم بها النبي ﷺ، وغيره أيضا من الأنبياء والصالحين: وأعظمها: الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار؛ فإن من المسلمين من يدخل النار بذنوبه، ولكنه لا يخلد فيها لأجل الإسلام والتوحيد، فيخرج منها بشفاعة النبي ﷺ وغيره -كما ذكرنا-.

**** الركن السادس من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر:**

معناه إجمالا: الإيمان بأن كل شيء عند الله محدد ومنظم، له تفاصيل معلومة، وأجل معلوم.

وتفصيلا: في عدة أمور:

١- الإيمان بعلم الله تعالى.

فالله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها، وقد أحاط علمه بها جميعا.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ٤٠﴾ [الأحزاب].

٢- الإيمان بكتابة المقادير.

فكل شيء قد كُتب عند الله في اللوح المحفوظ.

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس]، وقال النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**».

٣- الإيمان بمشيئة الله وقدرته.

فالله على كل شيء قدير، ومشيئته شاملة لكل ما يقع في الكون، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٦﴾ [الحشر]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج]، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وليس كل ما شاء الله وقوعه فقد أحبه ورضيه، بل شاء وقوع ما لا يحب ولا يرضى، من الكفر، والشر، والفساد؛ وذلك لحكمة الابتلاء والتكليف.

فالأمور التي أراد الله وقوعها لهذه الحكمة، وهو لا يحبها ولا يرضاها: يقال إنها واقعة **بالإرادة الكونية**.

والأمور التي أراد وقوعها، وهو يحبها ويرضاها، من أمور الإيمان، والطاعة، والخير: يقال إنها واقعة **بالإرادة الشرعية**.

٤- الإيمان بخلق أفعال العباد.

فالله خالق، وما سواه مخلوق له، ومن ذلك: العباد، بصفاتهم، وأفعالهم.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فالمؤمن الطائع ما صار كذلك إلا بهداية الله له، والكافر العاصي ما صار كذلك إلا بإضلال الله له.

وليس المقصود بذلك أن الإنسان ليس له قدرة ولا اختيار في أفعاله، بل الله خلقه على هيئة يتمكن بها من إحداث أفعاله بمشيئته واختياره، والمقصود بالهداية والإضلال: التيسير للخير والشر، فمن علم الله منه أنه مستحق للهداية، صادق في طلبها؛ هداه وأعانه على الخير؛ ومن علم منه أنه مستحق للضلال، حريص عليه، يريده باختياره؛ خذله ولم يوفقه، فسهل عليه الوقوع في المعصية.

قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥﴾ إلى قوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٥-١٠].

وبهذا ينتهي الكلام -بفضل الله- على أركان الإيمان، ويبقى لنا التعرض لبعض المسائل المهمة في الاعتقاد.

**** الإيمان قول وعمل:**

نعتقد أن الإيمان قول وعمل، فالأمور التي شرعها الله لنا من الأقوال والأعمال: كلها تعتبر من حقيقة الإيمان الذي أمرنا الله به.

يدخل في ذلك:

١- قول القلب.

وهو الاعتقادات التي توجد في القلب، كمعرفته بالله، وتصديقه بوجوده، ويقينه به.

٢- قول اللسان.

وهو الشهادتان.

٣- عمل القلب.

وهو العبادات القلبية التي سبق الحديث عنها تحت اسم «العبادات الباطنة»، مثل: المحبة، والخوف، والرجاء.

٤- عمل الجوارح.

وهو ما سبق الحديث عنه تحت اسم «العبادات الظاهرة»، التي تقع بالبدن ظاهرا، مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والدعاء، وذكر الله.

فكل هذه الأمور تسمى «إيمانا»، وتدخل في حقيقة الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحجرات: ١٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى البيت الحرام.

وقال النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، وقال: «**الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

والإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعة، ونقصانه بالمعصية.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وسبق حديث شعب الإيمان، في أن هذه الشعب متفاوتة، منها الأعلى، ومنها الأدنى.

والعاصي ناقص الإيمان، متعرض للوعيد، إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، ولا يكفر بمعصيته، ولا يخرج عن ملة الإسلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال النبي ﷺ: «**ومن أصاب من ذلك** [أي: المعاصي] **شيئا، ثم ستره الله؛ فهو إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له**»، ومعلوم بالضرورة من السنة: أنه ﷺ لم يكن يعامل العصاة معاملة المرتدين.

والكفر يكون بالاعتقاد، والقول، والعمل.

فمثال الاعتقاد: تكذيب الرسل، أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، كفرضية الصلاة، وتحريم الزنا.

ومثال القول: سب الله تعالى، أو الرسول ﷺ، أو دين الإسلام.

ومثال العمل: السجود لغير الله، ووطء المصحف.

**** الموقف من الصحابة:**

الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء، يجب اعتقاد فضلهم ومكانتهم، ولا يجوز سبهم ولا الطعن فيهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية، وقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]، والآيتان بعدها.

وقال النبي ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، وقال: «**لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

وأفضل الأمة بعد النبي ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم. وهم الخلفاء الراشدون، خلافتهم صحيحة كلهم.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نقول والنبي ﷺ حي: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان»، وتفضيل علي بعدهم لأنه كان أفضل الصحابة في زمنه بعدهم، وكانت خلافته صحيحة راشدة.

وكل من ثبتت له فضيلة خاصة من الجماعات والأفراد؛ فإننا نثبتها له؛ كفضيلة المهاجرين والأنصار، والعشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر.

والحروب والإشكالات التي وقعت بين الصحابة لا تؤثر على عدالتهم ولا مكانتهم؛ لأنهم كانوا فيها مجتهدين، والله تعالى قد أثنى عليهم ووعدهم بالمغفرة، مع علمه بما سيقع بينهم.

**** الموقف من حكام المسلمين:**

يجب السمع والطاعة لهم في المعروف.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال النبي ﷺ: «**من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**».

وإذا أمروا بمعصية؛ فلا طاعة لهم فيها.

قال النبي ﷺ: «**إنما الطاعة في المعروف**»، وقال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

والمقصود: أنه لا طاعة لهم في هذه المعصية بعينها، من غير أن نخرج عليهم، أو لا نعترف بإمارتهم.

قال النبي ﷺ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة**».

وكما لا يجوز الخروج بالسلاح، فلا يجوز كل ما يؤدي إليه من تهييج الناس على حكامهم، وإحداث الفوضى والاضطراب في البلاد؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.